المبحث الخامس

شعره في زمن الاستقلال

يتشكل شعر الاستقلال لدى أحمد سحنون في ظل عوالم خاصة ، أساسها المتغير الحضاري الطارئ الذي ساد في وطن مستقل ، وهو المتغير الذي أوجزنا الحديث عنه سابقاً ، ويمكننا إجمال هذه العوامل فيما يلي :

١ ـ عالم الفرح والسرور

وهو العالم الذي يتحدث عنه الشاعر بكبرياء وعزة ، تتلوهما نشوة الفرحة الكبرى التي أوقفته على زمن النصر المشهود ، زمن الإسلام الذي ستحكم به دولة الجزائر المستقلة ، يقول في قصيدته (بمناسبة إيقاف القتال)[١] :

والشعب يهتف كله مستبشراً ... يا فرحتي نضجت ثمار جهودي
اليوم ترفع في الجزائر راية ... تحمي عرين أبوة وجدود
وتقام فيها دولة قوّامة ... بالحق قائمة على التوحيد
ويشاد فيها للأحرار موطن ... وتزاح كل حواجز وسدود
إن الجزائر خلدت تاريخها ... بجهاد فتيتها الأباة الصيد
فاسمع أعز قصائدي في عيدها ... فَبِوَحْي ثورتها نظمت قصيدي
يا ابن الجزائر يا مثال بطولة ... ورصيد تضحية ورمز صمود
اليوم تحصد ما زرعت ويقتدي ... بخطاك كل مقيد مصفود
اليوم تبسم للحياة وتنجلي ... سحب الأسى عن شعبك المجهود
اليوم تنعم بالسكينة والرضا ... وبلوغ غاية سعيك المحمود

في هذه الأبيات نقرأ ذلك الانفعال الخاص الذي يحفز في أبناء الوطن الإقبال على التمتع بالحياة في ظل دولة إسلامية عادلة ، والانفعال محكوم بكلية لغوية مضيئة مشرقة ، حيث تنبض كل لفظة مذكورة بالحياة والأمل والسعادة .

والشاعر في فرحه هذا لا ينسى ـ وهو المزود بالإسلام ـ أن يعلن في الناس : أن الاستقلال إنجاز رائع ، ومن حقهم أن يفرحوا ويفتخروا به ، لكن الأروع يكمن في الاحتفاظ بهذا الإنجاز ، ولا يكون ذلك إلاّ بالتواصل مع زمن الشهداء .

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٨٥ـ٨٦ .

ولذلك نجده وهو يعلن في قصائد عديدة عن مفهوم الاستقلال ، الـذي لا يؤسس إلاّ ببناء خاص أساسه «العمارة المادية والروحية» ، فالشعب مطالب ببناء القرى والمدن وبالزرع والحرث ، كما هو مطالب بتشييد المدارس والمساجد ، والبناء ـ فوق هذا ـ لا يثمر إلا إذا أسس على «تقوى الله» الذي لولاه ما كان النصر ، وعلى اللغة العربية التي هي عنوان شخصية الجزائر[1] :

هيا لنبني فالبلاد خرائب مثل المقابر
نبني المكارم مثلما نبني المنازل والعمائر
نبني المدارس والمساجد والمدائن والمداشر
هيا لنزرع أرضنا من كل زاهي النبت ناضر
هيا لنخرج من كنوز بلادنا أغلى الذخائر
هيا نعلم نشأنا فالعلم ينهض كل عاثر
هيا نجدد بالمعارف من علانا كل داثر
ماض لنا متألق الأضواء مثل النجم باهر
لنعيد بالفصحى وبالإسلام شخصية الجزائر
فالدين والفصحى هما عز الأوائل والأواخر
بهما تآخينا وقامت بيننا أقوى الأواصر
وهما جناحانا وهل بسوى الجناح يطير طائر
وهما لنا النهج الذي من حاد عنه فهو خاسر
يا ابن الجزائر كن على النعمى لربك خير
لا تنس أن الله ينصر من لدين الله ناصر

إن هذا المضمون الإسلامي الرائع نجده يتكرر في قصائد عديدة ، كتبها أحمد سحنون بعد الاستقلال بزمن قصير[2] ، وهي القصائد التي تحولت إلى أناشيد

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١١٣-١١٤ .

(٢) انظر «الديوان» : ص ٣١٣، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦ . . .

مفرحة دالة على إنجاز عظيم ؛ لكنه إنجاز مشروط بفهم إسلامي . فالشاعر يعلم أن الاستقلال لا معنى له إلاَّ إذا زود بالاستمرار والتواصل ، فمثل الجزائريين في هذا الإنجاز الحضاري الرائع كمثل أهل بدر الذين ظنوا أنهم حازوا الحياة بالانتصار في الغزوة ؛ لكن الله أوحى إليهم بأن الانتصار إنَّما يكمن في التواصل ، قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[1] فجملة (فاتقوا الله) وما بعدها هي الأساس الضامن للحياة ، ولوفقه الجزائريون بعد الاستقلال هذا الدرس ، بل لو فقهه المسلمون ما صرنا غثاء تتكالب علينا الأمم .

---

(١) الأنفال : ١ .

٢ ـ عالم الإنسان

الإنسان الذي يراهن عليه أحمد سحنون ، ويتمناه أن يسود في وطن الملايين من الشهداء ، هو ذلك الذي حاولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ ومن نهج نهجها ـ أن تشكله وفق أبنية حضارية ، أساسها الإسلام المؤيد باللغة العربية وبالانتماء الشرقي ، غير أن هذه المراهنة قد أصابها الوهن حين طرأت سبل جوفاء على الإنسان ، فعملت على تشويه جهاده وهويته ، وفرضت عليه مناهج ورؤى غريبة عن الإسلام ، وهو الفرض الذي نما في ظله الشاذ والغريب من العادات والتقاليد .

ونظراً للكم الهائل من القصائد التي تحدث فيها الشاعر عن هذا الطارئ الحضاري ، فإننا نلجأ إلى الاختصار معتمدين على مجموعة من الأسس والقواعد التي يقوم عليها كيان الشعب الجزائري ، والتي صارت عرضة للسقوط ، ومنها «الدين الإسلامي واللغة العربية والأخلاق الفاضلة ، والتواصل مع زمن الشهيد . . . » يقول في قصيدته (ليلة المولد النبوي الشريف)[1] :

نحن بالإسلام سدنا ليت ذاك العهد داما
ونرى النشء على اللذات واللهو أقاما
وبنات اليوم لا تلقى لديهن احتشاما
كل يوم ببنات الغرب يزددن هياما
إننا لم نعتصم بالدين والخلق اعتصاما
لا نبالي ما أصبنا أحلالا أم حراما!
قد نبذنا شرعة الله ولم نخش ملاما
وتجاوزنا المدى حين تعاطينا المداما
والربا في بلد الإسلام قد صار نظاما

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص٢٢٣ـ٢٢٤ .

ولعل الذي آلم الشاعر أكثر أن يرى سلفاً بطلاً شهيداً معانداً ، لم يستسلم لفرنسا ، يخلفه من بعده خلف أضاع الدين واتبع الشهوات ، وأقبل على الموبقات يجربها دون حياء . والمؤسف فوق هذا أن يسكت أو لو الأمر عن هذا السلوك المخجل[1] :

كيف سرنا الآن خلفاً بعد ما كنا أماما؟
وانتهينا لحياة لم نكن فيها كراما
وخبت ثورتنا الكبرى التي شبت دواما
لم نعد نثأر للعرض ولا ندفع ذاما
لم نجد بالروح للإسلام حبا وغراما
نبصر الإلحاد يغزونا ولكن نتعامى
ونرى المعني بالأمر عن الواجب نائما!

وجيل كهذا لا ينتظر منه أن يحافظ على هويته ، ناهيك أن ينجز الأمور العظيمة ، ولذلك نجد الشاعر وهو يتحدث بحيرة وأسى عن زمن لم يجد فيه إلاَّ الهدم والفقد ، والحديث مشحون بأفعال خاطئة في ظلها بدأت تتهاوى جملة من القواعد المؤسسة لهوية الوطن أهمها الأخلاق الإسلامية ، والتاريخ المشرق ، وكل رأي سديد يحاول به أهله إصلاح البلاد ، يقول الشاعر[2] :

يا حسرتا ضاعت وانطمست أخلاقنا الغر
وانقلب الوضع لدينا فلم يبق لنا عرف ولا نكر
ومذ تنكرنا لتاريخنا وديننا حل بنا الخسر
وصار من يدعو إلى خطة مثلى يظن بعقله شر

ومن القواعد المتهاوية : اللغة العربية التي دلت كل المواثيق والدساتير في الجزائر على أنها اللغة الوطنية ، لكن ذلك لم يتعد الدعاية في أغلب الأحيان ، إذ

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ٢٢٤-٢٢٥ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢١٣ .

غدت اللغة العربية ومن والاها مجموعة شاذة ، يجب الإبقاء عليها من خلال القرارات لحفظ التوازن ، يقول أحمد سحنون في قصيدة (واضيعتا للغة الأحرار) معبراً عمَّا أصاب اللغة العربية من جحود ونكران[1] :

واضيعتـــا للغـــة الأحـــرار ... قد أصبحت صفراً على اليسار
كادت تموت بعد الانتصار ... ولم تمت في عهد الاستعمار
سفاهة من أهلها الأغرار ... وغدرة من خصمها الغدار
يا فتية تلصق كل عار ... باللغـــة الكريمـــة النجـــار

والواقع أن الشاعر وإن تحدث بلغة منفعلة ثائرة ، إلاّ أن حديثه صحيح يؤكده الواقع الجزائري بعد الاستقلال ، فلا أحد ينكر أن الكم الفكري والأدبي والإعلامي المؤدّى باللغة العربية ، والذي كان سائداً قبل الاستقلال ، والممثل في زمن جمعية العلماء بخاصة ، هذا الكم لم نجده بعد الاستقلال إلاَّ هزيلاً ضعيفاً ، ويكفينا أن ننظر إلى واقع الإعلام عندنا ، فالمجلات والجرائد صارت في سنة ١٩٩٥ وقبيل بداية القرن القادم ـ الذي يفترض ألا تكون فيه الحياة إلاَّ لمن أبصر هويته وعض عليها بالنواجذ ـ مفرنسة إلاَّ النادر منها .

والشاعر بعد هذا مجبر ـ بحكم شاعريته المتداخلة مع الإمامة والدعوة ـ على المجاهرة بالنصيحة ؛ لأنه مسؤول أمام الله عن هذا الشعب الذي أراده الآخرون ممسوخاً تابعاً ، ولذلك نجده وهو يكتب لربيبه في العمل الإصلاحي «الشيخ عبد اللطيف سلطاني»[*] مذكراً إياه بالمسؤولية الملقاة على العلماء في مواقف حضارية عصيبة كهذه ، يقول[2] :

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٤٢ .

(*) الشيخ عبد اللطيف سلطاني أحد العلماء المسلمين الجزائريين الذين لاقوا صنوفاً شتى من الآلام في سبيل أن تكون الجزائر مسلمة، توفي يوم الخميس ١٠ رجب ١٤٠٤ هـ / ١٢-٠٤-١٩٨٤م بعد أن كان تحت الإقامة الجبرية، من أشهر مؤلفاته : (١) ـ المزدكية هي أصل الاشتراكية، منع من الطبع في الجزائر فهربه إلى المغرب حيث طبع بدار الكتب ـ دار البيضاء ـ ١٩٧٤ . (٢) ـ سهام الإسلام ـ ش و ن ت ـ الجزائر ـ ١٩٨٠ . (٣) ـ في سبيل العقيدة الإسلامية ـ دار البعث ـ قسنطينة ـ الجزائر ـ ١٩٨٢ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٨٠ .

إلـى متـى نحـن نرضـى ... للديـــن وأداً وخنقـــا؟!
وكيـــف تســـعد أرض ... بهـــا العقيـــدة تشـــقى؟!
وهـــل تحـــرر قـــوم ... يرضـــون للديـــن رقـــا؟!
أيقبـــل الحـــر كفـــراً ... يغـــزو حمـــاه وفســـقا؟!
أتغـــرق الخمـــر أرضـــاً ... عاشـت مـن الـدم غرقـى؟!
واحســـرتا كـــم يعـــاني ... الإســـلام منـــا ويلقـــى!
خيانـــة ليـــس نرضـــى ... بهـــا شـــعاراً وخلقـــا
وإن رضينـــا غششـــنا ... دينـــا محضنـــاه صدقـــا
وإن ســـكتنا فإنـــا ... خنـــا الحقيقـــة نطقـــا!
لـــم يعطنـــا الله دينـــا ... لكـــي نضـــل ونشـــقى

والشاعر لا ينسى بعد كل هذه المتغيرات ـ وهو المؤمن التقي ـ أن يجأر إلى الله بالدعاء ، فهو هادي الحائرين ، وهو التائب عن الضالين[1] :

نحن حدنا عـن الهـدى وسـلكنا ... كـل نهـج سـلوكه ليـس يحمـد
وكفرنـــا إحســـان رب كريـــم ... شـــكره واجـــب علينـــا مؤكـــد
فلنعـد للطريـق مهمـا انحرفنـا ... عنـه إن الرجـوع للحـق أرشـد
رب رحماك قد دجى الليـل أدركـ ... ـنا بصبـح فـالصبح أحلـك أربـد
رب رحماك قد طغى السـيل عاملـ ... ـنا بلطـف فصبرنـا كـاد ينفـد
وتـدارك بـالنصر دينـك يـا رب ... فديـن الإسـلام مـا زال مبعـد

(١) المرجع نفسه : ص ١٣٥ .

٣ ـ عالم الحكام

إن هذا العالم واسع ممتد ، بدايته الجزائر ونهايته العالم الإسلامي بأكمله ، ففي ظله نقرأ قصائد بالغة الحزن والأسى ، لأنها تتشكل في ظل «الردة الحضارية» المؤيدة بالثورة على المضامين الإسلامية ، والإقبال على ما سواها من مناهج وافدات .

أما علاقة الشاعر بعالم الحكام في الجزائر فهي علاقة تضاد ، يحكمها منطق الاستقلال المشوه الذي لم يستطع الحاكمون في ظله أن يتواصلوا مع زمن الشهداء . لقد فهم هؤلاء الحكام الاستقلال على أنه منحة مادية ، يجب أن يستغلوها في إثراء خصوصيات بعيدة عن هموم الشعب ، يقول أحمد سحنون في قصيدة (المجلس الإسلامي الأعلى) ناصحاً هؤلاء الحكام مبيِّناً لهم المفهوم السليم للاستقلال[١] :

فلا تحسبوا التحرير يغني عن ... ولا محض الاستقلال يكسبنا الفضلا
فلا كان الاستقلال إن جانب الهدى ... ولا بقي التحرير إن جانب العدلا
أعيذكم أن تمسخوا الثورة التي ... بذلتم فأغليتم لإنجاحها الفضلا
فمن لم يذد عن دينه ما يسوؤه ... فليس بذي دين وإن صام أو صلى

ثم يذكر الحاكمين الذين تنازعتهم فلسفات الشرق والغرب بأن الجزائريين لهم أصل لا يحيدون عنه ، وفيهم العقيدة الإسلامية التي لا يرضون عنها بديلاً[٢] :

إنا بنو بدر وهيهات أن ... يرضى بنو بدر سوى الصدر
لسنا أميركانا ولا ننتمي ... للروس في سر ولا جهر
لكننا من أمة حرة ... قد أنجبت كل فتى حر
جئنا إلى الدنيا بدين الهدى ... مثل شعاع في الدجى يسري

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٧٩ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢١١ .

فمن يرُم منا الهدى نعطه هدى بلا منٍّ ولا أجر
ومن يرُم كفراً فنحن الألى جئنا لكي نقضي على الكفر

وعندما ييأس الشاعر من صلاح هؤلاء الحكام ، يلجأ إلى وسيلة أخرى ، إنها الثورة الرافضة يعلنها صيحة حق ، ويجهر بها متحدِّياً كل من خالف أسس الهوية الجزائرية ، ويمكننا أن نقرأ ذلك في قصيدته (الذكرى الثانية لوفاة الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي)(*) إذ يعلن أحمد سحنون ثورته على الذين تمرَّدوا عن أصالة الشعب ومسخوا استقلاله(١) :

تبّاً لدنيا ترفع الأنذالا وتحارب العظماء والأبطالا
وتبارك المتلونين وتحتفي بالخائنين وتكرم الجهالا
وتسوم أهل الفضل جحد جهودهم وجهادهم وتخيب الآمالا
النبل فيها مهدر ومطارد والعدل أبعد ما يكون منالا

ويوجه الخطاب بعد ذلك إلى الإمام الراحل شارحاً له أزمة الجزائر التي تتلخص في مجموعة من الأرانب الذين استأسدوا في زمن غاب فيه الرجال ، فحكموا الناس بالهوى ، وعطّلوا شرع الله وضيّعوا ميراث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول(٢) :

واستأسدت ـ بعد الأسود ـ أرانب تبدي زئيراً في الحمى وصيالا
والأمر فوضى والشريعة عطلت إذ صار ما قد حرمته حلالا
وإذا بميراث النبي محمد لم يلق تقديراً ولا إجلالا
عجباً مسخنا بالهوى استقلالنا أم كيف ندعو موتنا استقلالا؟

(*) ذكرى الإبراهيمي تعد من أعمق الذكريات التي تثير الألم في نفس الشاعر أحمد سحنون، فهو كما ذكر لنا في لقاء معه يحس بالحزن والخجل كلما تذكر ما وقع لهذا العالم الذي قدم الكثير للجزائر، ورفع اسمها عالياً في منابر علمية وأدبية وفكرية في العالم الإسلامي، لكن المكافأة بعد الاستقلال كانت بالإقامة الجبرية، وقطع مرتبه الشهري، حتى كانت وفاته ظهر يوم الخميس ٢٠ ماي (أيار) ١٩٦٥، والسبب بسيط وهو أنه كتب بياناً تاريخياً وجّهه إلى السلطة الحاكمة بتاريخ ١٦ أفريل (نيسان) ١٩٦٤ حيث حذرها من الانحراف عن نهج الشهداء .

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٥٥ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٥٦ .

وتبلغ ثورة الشاعر ضد الحاكمين في الجزائر أوجهاً في قصيدته (طفح الكيل) التي يفصح فيها عن خسارة حضارية لا مثيل لها ، إنه الاستقلال الذي ضاع حين حضرت بدله مجموعة من القوانين الضحلة التي أباحت الحرام ، واستحبت العمى على الهدى ، فعادت بالناس إلى الصفر حين لم تثمر فيهم مبادئ جهاد نوفمبر (كانون الأول) الخالد[1] :

طفح الكيل وانتهينا لحال ... رب رحماك إنها شر حال
فغدونا مستعبدين كأن لم ... نتحرر أو نحظ باستقلال!
وكأن لم نخض لظى الحرب في ... بأس الضواري وفي ثبات الجبال
ونسخنا آي الكتاب بما لم ... يجر للمؤمنين يوماً ببال
بقوانين ضحلة وضعتها ... يد كل سياسي دجال
تتحدى شرع الإله جهاراً ... وتبيح الحرام مثل الحلال
فانتهينا إلى عبودية نكراً ... عبودية الهوى للرجال

ومن عالم الحكام في الجزائر، إلى الحاكمين في أمة الإسلام ينصحهم ويرشدهم إلى ما فيه خير الأمة وصلاحها ، وأعظم الخير أن يتحدوا ويثأروا لحرمات المسلمين المنتهكة[2]:

فيا قادة الإسلام هبوا لتنقذوا ... مهاجر إبراهيم بالنفس والأهل
ويا زعماء الشرق ضموا صفوفكم ... ليصبح هذا الشرق مجمع الشمل

ويوجههم بعد هذا إلى العدو الحقيقي الذي هو اليهود ، فهؤلاء هم أصل البلاء الذي حل بالمسلمين[3]:

ولكن عليكم بحصد اليهود ... فإنهم أصل هذا الشغب
وإنهم أصل كل بلاء ... وكل عناء وكل نصب
ألا طهروا الأرض من رجسهم ... وأرووا الثرى بالدم المنسكب

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٦٥ .
(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٢٨ .
(٣) المرجع نفسه : ص ١٣١ .

وعندما يدرك الشاعر أن النصيحة لم تفعل فعلها في هؤلاء الحكام ، يلجأ إلى الثورة ضدهم ، يعلنها في الجموع المسلمة شارحاً موضحاً ناصحاً[1] :

الحاكمون تمردوا عن دينهم ... وتنافسوا في الكفر والطغيان
واستبدلوا حكم الإله بحكمهم ... جهلاً بمعنى الربح والخسران
ثم ادعوا لشعوبهم إخلاصهم ... وتذرعوا بوسائل الإعلان

وتبلغ الثورة مداها في قصيدة (ماذا جنى قطب؟) حين يستغل المناسبة المؤلمة التي أعدم فيها الشهيد سيد قطب (*) ـ رحمه الله ـ ليعلن فيها أن الثورة على هؤلاء الحكام هي السبيل الوحيد المخلص[2] :

أيقتل (قطب) أي خطب مزلزل؟ ... وأي مصاب حل بالأمة الثكلى؟
أتخنق مصر مجدها وتدوسه؟ ... لقد عدمت مصر الكياسة والعقلا؟

---

(١) المرجع نفسه : ص ١٤١ .

(*) لقد خلف هذا الإعدام جرحاً دامياً في قلوب العلماء الجزائريين، فكتبوا باسم جمعية القيم برقية إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر يرجونه العفو عن سيد قطب، وفيما يلي مضمون البرقية : «إلى فخامة السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية، تحية واحتراماً، يسرنا نحن جمعية القيم الإسلامية الجزائرية أن نتقدم بالتوسل إلى حضرتكم أن تتفضلوا بالعفو عن سيد قطب ورفاقه المحكوم عليهم من قبل المحكمة العسكرية التابعة لنفوذكم بصفتكم رئيس محكمة الثورة، والرئيس الأعلى لكافة المصالح العسكرية بمصر أختنا الشقيقة الكبرى، فتحولوا الحكم عليهم بالإعدام إلى الحكم بالسجن .

ونحن إذ نتوجه إلى فخامتكم بهذا الرجاء لا نعتبر نفسنا أكثر من جمعية ثقافية دينية لا خوض لها في الشؤون السياسية لا المصرية ولا الجزائرية نفسها، وإنما هي التفاتة من أجل علماء مسلمين إخوان لنا في الدين كبقية رعايا دولتكم الكبيرة التي نعتبرها جميعاً أختنا الكبرى وزعيمة العالم العربي .

والله تعالى نسأل أن يسدد خطاكم، ويسبغ عليكم أجر من أحسن عملاً، وجزاكم عنا خير جزاء .

الجزائر العاصمة (نادي الترقي، ساحة الشهداء)
في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦/ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ
عن جمعية القيم
الهشمي التيجاني

انظر : «الحركة الإسلامية بالجزائر» ، أوصديق الهاشمي : ص ٦١-٦٢ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

وما ذنب قطب غير إيقاظ قومه ونشر تعاليم الحنيفية المثلى
فثر لا تقل صبراً شباب محمد وثب واقتحم نار الوغى لاتقل مهلا
وعودوا إلى ما كنتم من جهادكم سينصر حزب المؤمنين وإن قلا
ولا تنصبوا للحكم إلاَّ أخا هدى يغار على الدين الحنيفي أن يبلى
وهل يحكم المخلوق والله حاكم بنص كتاب لم يزل بيننا يتلى
وما الكفر إلاَ الحكم بالرأي والهوى ومن هاهنا قد ضيع العرب السُؤْلا

٤ ـ عالم الأمة الإسلامية

هذا العالم هو الامتداد الطبيعي لشاعر تحكمه رؤية إسلامية لا يشعر إلاَّ وفقها ، فهي التي تملي عليه جغرافية الأرض والعرض ، وهي التي تحدد له سمات الأمة التي يجب أن تمتد امتداد الإسلام في المعمورة ، ففي ظل هذا الامتداد كتب أحمد سحنون قصائد عديدة ناصحاً فيها الأمة الإسلامية مذكراً إياها بنهج الإسلام الذي ابتعدت عنه أو كادت ، يقول في قصيدة (هنا ولد الإسلام) التي ألقاها في عرفات ، في حفلة ضمت نخبة من العلماء والأدباء عام ١٩٦٨[١] :

تنكبت نهج المصطفى وهو ... فحلت بك البلوى وحاق بك الخسر
ولم تحفظي العهد الذي مذ ... شقيت فلم يعصمك بر ولا بحر
وحدت عن الدين الحنيف وهديه ... فلا نهيه نهي ولا أمره أمر
فعودي إلى النبع الذي مذ هجرته ... ظمئت فلا يرويك نبع ولا نهر
فلا خير في الدنيا إذا هي أقفرت ... من الدين والأخلاق وانتشر الكفر

ويحاول الشاعر أن يحدد مجموعة من الأسس الحضارية التي يجب على المسلمين التمسك بها ، إذا أرادوا أن يسودوا ، ومن أخطر هذه الأسس أن يكفوا فوراً عن العداوة التي صارت السمة الغالبة في واقعهم ، والتي جعلتهم يقتتلون فيما بينهم[٢] :

وغدا الإخوة الأشقاء أعدا ... ء وشمل اتحادهم قد تبدد
ورحى الحرب أصبح الشرق ميدا ... ناً لها والسلام أضحى مهدد
وإذا المسلمون هذا قتيل ... دون ذنب وذا أسير مصفد
وأخو الحكم ليس يعنيه شيء ... طالما حكمه سليم موطد

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٢) المرجع نفسه : ص ١٣٥ .

أما الأساس الثاني فيكمن في الإسلام الجامع الموحد دون قوميات لا تعمل إلاَّ على التفرقة ، والتمزق والضياع[1] :

فيا أيها المسلمون اذكروا ... عقيدتكم فهي أزكى نسب
وإن ذكر الناس أنسابهم ... وباهوا بما عندهم من حسب
فقولوا لهم : إننا مسلمون ... ولا تجهلوا فتقولوا عرب

ونختم الحديث عن عالم الأمة الإسلامية بملاحظة تتعلق بالكم الهائل من النداء والاستفهام اللذين تحولا في قصائد سحنون إلى بكائية عالية ، يرسلها صيحات لعلها تبلغ آذان المسلمين الذين فرَّطوا في الأرض والعرض ، وحادوا عن نهج أسلافهم الذين دانت لهم الدنيا فهو يناديهم قائلاً[2] :

يا وفود الله هل فكرتم ... في الذي حل بنا من مثلات(*)
غربة الإسلام في أوطانه ... نكبة أعظم بها في النكبات
يا رفاقي في إجلاء النور من ... مشرق النور ومثوى الرحمات
ضاعفوا الجهد فهذي فرصة ... لاتقل إن هي ضاعت سوف تاتي
يا وفود المصطفى يا موكباً ... في سبيل الله خاض الغمرات
كفروا عن كل ذنب واجمعوا ... كل يوم ثروة من حسنات

وهو يسأل المسلمين متألماً باكياً[3] :

فأين أمة طه ؟ أين موطنها؟ ... واحر قلباه قد صارت بلا وطن
أبعد أن ملكت روما وقيصرها ... وملك كسرى غدت مفقودة السكن
وأين خالد سيف الفتح أين ثوى ... وأين عقبة نار الحرب كيف فني؟
إني لأخجل إذ ألقى شبيبتنا ... حليفة اللهو في لج من الفتن

---

(١) «ديوان أحمد سحنون» : ص ١٣١ .

(٢) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٣٥ .

(*) الوفود هنا هم مجموعة من العلماء الذين التقى بهم الشاعر في مكة المكرمة بمناسبة الحج عام ١٩٧٢ .

(٣) «ديوان أحمد سحنون» : ص ٢٣٧ .

وختام هذه المضامين الشعرية أنها تؤكد السمة الإسلامية التي تتحكم في كل ما كتبه الشاعر ، فبدون هذه الإسلامية لا نستطيع أن نكتشف تجربة أحمد سحنون الشعرية الخاصة المنظمة حسب ما يقتضيه الإسلام .